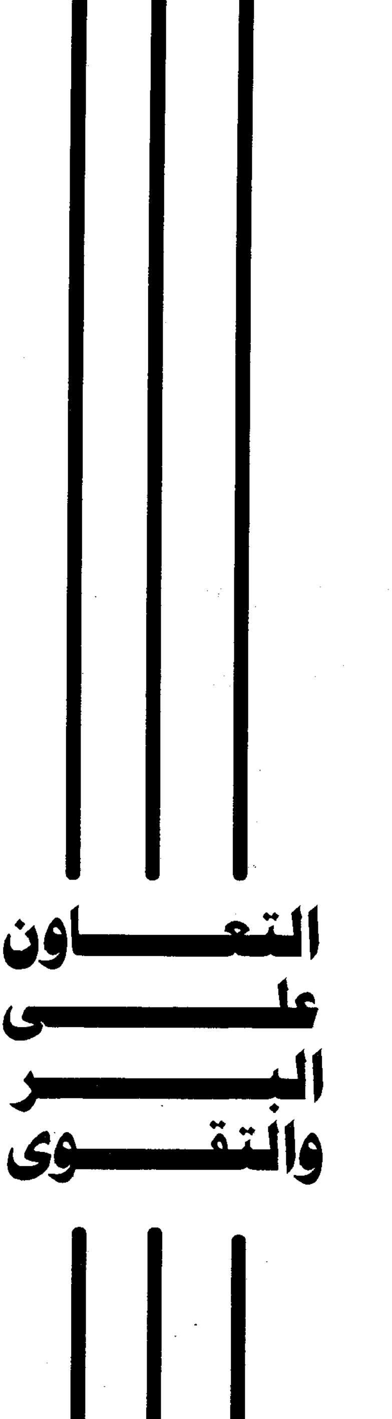
سلسلة شعب الإيمان
التعاون على البر والتقوى
(٤٨)

التَعاوُن عَلى
البِرّ والتّقوى


التعـــاون
علـــى
البـــر
والتقـــوى

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وصلاة وسلام على حبيبه المصطفى سيدنا محمد وعلى آله العترة الشرفا وأصحابه الحنفا الذين حملوا لمن بعدهم كتاب رب العالمين ، وسنة الشفيع يوم الدين ، وكانوا على البر والتقوى متعاونين وعن الإثم والعدوان مجانبين ، وعلى من بعدهم من التابعين وتابعيهم بإحسان على توالي الحقب والدهور إلى يوم البعث والنشور آمين .

وبعد فهذه شعبة جديدة من شعب الإيمان كتبتها في التعاون على البر والتقوى ، أسأله تعالى أن يجعلنا من المتخلقين بها العاملين على تطبيقها وسائر من طالع فيها وساهم في نشرها إنه سميع مجيب .

خادم العلم الشريف

أسعد محمد سعيد الصاغرجي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

أخي المسلم ... أختي المسلمة :

أمر الله تعالى جميع الخلق بالتعاون على البرّ والتقوى ، وإعانة بعضهم بعضاً وحثّ بعضهم البعض على ما أمر الله عز وجل به والانتهاء عن التفرّق والتخاذل والاختلاف وارتكاب ما نهى الله تعالى عنه ، وأن يعتدي بعضهم على بعض مجتمعين ومتفرقين ، أو أن يتعاونوا على إبراز الآثام المعتبرة في الشرع .

والبرّ : العمل بما أمر الله عز وجل به أو أمر به رسوله ﷺ أو اجتمعت عليه كلمة أهل الرأي والمشورة من المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ ، والحديث الموقوف الحسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ فبعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله

حسن [1] وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح [1].

والتقوى : اتقاء ما أمر الله باتقائه ، واجتناب ما أمر الله تعالى باجتنابه ، فمن اجتنب الشرك فهو مُتّقٍ ، ومن اجتنب الفسوق والمعاصي فهو مُتّقٍ ، ومن اجتنب الشبهات فهو مُتقٍ .

والإثم : الذنب وأن يعمل ما لا يحل له ، وكل ما تردد في الصدر ولم ينشرح له القلب خوفاً أن يكون ذنباً .

وفي الحديث : « البرّ حسنُ الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطّلع عليه الناس » [2].

والعدوان : الظلم الذي يجاوَز في القدر الذي حدّه الشارع . فكل من تجاوز ما حدّ الله تعالى ورسوله ﷺ في الشرع سواء في نفسه أم في غيره فهو عادٍ وصاحب عدوان .

فالبر ما أُمرتَ به ، والتقوى ما نهيت عنه ، والتعاون مطلوب في المأمورات والمنهيات وهو سبيل النجاة لجماعة المؤمنين كما ورد ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٣٦٧ .

(٢) مسلم ٤/١٩٨٠ .

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينة فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرْقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا و نجوا جميعاً » (١) .

فقد رأيت أن التعاون على البر والتقوى أصل أصيل في استقرار الحياة الاجتماعية بين الناس والطمأنينة وراحة النفس وهدوء البال والأمن والأمان . والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه عديدة .

١- نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم

الظالم معتدٍ ومجاوز حَدّه قد بارز الله تعالى بالمخالفة والعصيان واعتدى بغير حقٍ على الضعيف فإن القويّ ينتصف لنفسه ولذا فإن نصرة المظلوم حقٌّ على الله تعالى . حيث فقد الناصر والمعين فإذا تعاوَن المؤمنون على نصرة المظلوم فقد نابوا عن الله تعالى في نصرته وكان حقاً على الله تعالى أن يكافئهم روى أحمد والترمذي وحَسّنَه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

---

(١) البخاري ١٧٣/٣ .

قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا ترد دعوتهم الصـــائم حين يفطـر ،والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتي وجلا لي لأنصرنَّكِ ولوبعد حين [1] .

والظالم في الحقيقة متعدٍ على نفسه في تعدّيه على الغير ولكن بصيرته قد عميت عن هذه الرؤية ولو استنار قلبه بنور الهدى لما أقدم على ظلم الغير وقد أبان الله عزوجل ذلك في كتابه الكريم فقال ومن يعمل سوءاً أويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً . ومن ظلم نفسه كانت عقوبته أشدّ من عقوبة غيره فهو يعذّب على ظلم نفسه عذاباً كبيراً ويعذب على ظلم غيره .

وعلى جماعة المؤمنين أن يتعاونوا على نصرة المظلوم سواء كان ظلمه من قبل نفسه أو من قبل غيره . ولذا جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » قال يارسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال : « تأخذ فوق يديه » [2] . وفي رواية مسلم « ولينصر الرجل أخـــاه ظالماً أو

---

(١) الترغيب والترهيب ٨٩/٢ .

(٢) بخاري ١٥٩/٣ .

مظلوماً . إن كان ظالما فلينهه فإنه له نصر ، وإن كان مظلوماً فلينصره » [1] .

ونصر المظلوم حقٌ له واجبٌ على جماعة المسلمين القادرين عليه وليس تعاونهم على نصرته من باب التفضّل بل هو قيام بواجب عليهم على سبيل الكفاية فإذا قام به أحدهم سقط الإثم عن الباقين وكان كل الأجر له، وَإذا توانوا عن نصرته لزمهم الإثم جميعاً . وقد يجب عيناً على من يقدر على إنصافه إذا لم يترتب على نصرته مفسدة أشد من مفسدة ظلمه فلو علم أو غلب على ظنّه أن نصرته لا تفيد في إزاحة الظلم عنه سقط عنه الوجوب وبقي أصل الاستحباب .

ويشترط في الناصر للمظلوم أن يكون عالماً بكون الفعل الواقع عليه ظلماً . حتى تجب النصرة والأصل في وجوب نصُرة المظلوم وكونها حقاً .

ما روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرنا النّبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع فذكر عيادة المريض وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابةَ الداعي وإبرار المُقْسم [2] . فالوا جب على جماعة المسلمين أن يتعاونوا

---

(١) مسلم ٤/ ١٩٩٨ . (٢) بخاري ٣/١٦٠ .

على دفع الظلم عن المظلوم بنصرته ، وكف يد الظالم عن ظلمه .

ومن نصرة المظلوم المترتبة على الأبوين دفع ظلم الأخ عن أخيه أو أخته ولوكانا صغيرين وتعريف كل منهما بما يجب عليه تجاه إخوانه وأخواته وقد يتساهل الأبوان بدافع تفضيل أحد الإخوة على عدم نصرة المظلوم فيتسببان بإحياء وإنعاش بذور الخلاف والشقاق بين الإخوة والأخوات فيتهلهل وضع الأسرة في المستقبل ويتمزق شملها وتتفّرق . ويرحم الله القائل

ومعظم النار من مستصغر الشرر .

وقد حرص رسول الله ﷺ على نصرة المظلوم ولو كانت ظلامة يسيرة لتستنّ أمته بسنّته وتهتدي بهديه ، وهّدد من قدر على نصرته وتقاعس عن ذلك .

روى أبو داود عن جابر وأبي طلحة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يَخذُل امرأَ مسلماً في موضع تُنتَهَكُ فيه حرمتهُ ، ويُنتقَصُ فيه من عِرْضِه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امريٍْ يَنصُر مسلماً في موضع ينتقص فيه مِن عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره

الله في موطن يحب فيه نصرته »[١] .

وروى أبو الشيخ عن جد المَهديّ أمير المؤمنين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « قال الله تبارك وتعالى « وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظّالم في عاجله وآجله ، ولأنتقمنّ ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل »[٢] .

وعلى الزوج إذا كان مُعَدِّداً أن لا يمكّن إحدى زوجاته من ظلم الأخرى وعليه أن يكون منصفاً عادلاً لئلا يندرج تحت اسم الظالمين . روى الطبراني في الصغير والأوسط بسند ضعيف عن عليّ رضـــي الله عنه قال قال رســـول الله ﷺ : « يقول الله : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصراً غيري » وقد وقعت إحدى زوجات النبي ﷺ في عائشة رضي الله عنها وشتمتها في حضرته ﷺ فما كان منها إلا أن انتصرت لنفسها حين أدركت أن النبي ﷺ لايكره ذلك فاستقبلتها بمثل ما سبتها به حتى أفحمتها وهذا عدل قال تعالى « والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون » .

روى النسائي حديث عائشة وفيه ثم أقبلت عليّ تشتمني فجعلت أراقب النبي ﷺ وأنظر طرفه هل يأذن لي من أن

---

(١) الترغيب الترهيب ١٩٠/٣ . (٢) الترغيب والترهيب ١٨٨/٣ .

أنتصر منها قالت فشتمتني حتى ظننتُ أنه لايكره أن أنتصر منها فا ستقبلتها فلم ألبث أن أفحمتها [1] . وعند ابن ماجه فسببتُها حتى جفّ ريقها في فمها فرأيت وجهه يتهلل . فنصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم من التعاون على البر والتقوى .

٢ - ومن وجوه التعاون على البر والتقوى تَحَسُّسُ آلام المؤمنين وجراحاتهم

ذلك أن المؤمنين إخوة وصلة الأخوة في النسب أمتن الصلات بعد الأصول والفروع وصلة الدين أقوى من صلة القرابة والنسب وأمتن منها وأولى بالمحافظة عليها ، لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب . وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً » [2] .

---

(١) سنن النسائي ٦٧/٧ .

(٢) مسلم ١٩٨٣/٤ .

وقد قرّر الله تعالى أخوّة المؤمنين في محكم كتابه العزيز فقال : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ، ومثّل رسول الله ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد . فقال : « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى »[1].

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً وشبّك بين أصابعه »[2].

وإذا كان الواجب على المسلمين أن يكونوا كذلك كان عليهم أن يكونوا يداً واحدة وجسماً واحداً على السرّاء والضرّاء . يتحسس سكان المشرق منهم آلام سكان المغرب ، ويتعاطف من في شمال الكرة الأرضية مع من في جنوبها ويتناصرون فيما بينهم ، وعليهم أن يتعاضدوا ويتعاونوا ويكونوا قوةً على من سواهم كما قال عليه الصلاة السلام : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسـعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

---

(١) مسلم ١٩٩٩/٤ .

(٢) البخاري ١٦٠/٣ .

واتحادهم قوة وتفرّقهم ضعف واجتماعهم تعاونٌ على البر والتقوى وتفرقهم تعاون على الإثم والعدوان وتمكين العدو .
وأيّما مسلم ساهم في خذلان المسلمين وتفريقهم وعمل على عدم وحدة كلمتهم فقد خان أمانة الله وكان في سخط الله حتى يتوب ويرجع عما هو فيه .

روى أبو داود وابن حبان في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنهما ، وعبد الرحمن لم يسمع من أبيه عن رسول الله ﷺ قال : « مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردّى في بئر فهو يُنزَع منها بِذَنَبه » [1] .

قال الحافظ المنذري ومعنى الحديث أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردّى في بئر فصار يُنزَع بذنبه ولا يقدر على الخلاص .

والذي يساهم في تفريق المسلمين وخذلانهم ظالم لهم ومن أعانه على ظلمه فقد خرج من الإسلام .

روى الطبراني في الكبير وقال حديث غريب عن أوس

---

(١) الترغيب والترهيب ١٩٨/٣ .

ابن شرحبيل أحد بني أشجع رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام » [1] . فالذي يهتم بأمر المسلمين ويفرح لانتصاراتهم ويسرّه اجتماعهم ويسوءه تفرّقهم وتمكين الأعداء منهم معدود من المتعاونين على البر والتقوى . والذي لا يهتم لأمرهم ولا يفرح لأفراحهم ولا يحزن لأحزانهم فهو من المتعاونين على الإثم والعدوان وهم براء منه .

٣ - ومن وجوه التعاون على البر والتقوى تفريج الكرب وتقديم المساعدات .

وقد حدث مثل هذا في صدر الإسلام ولا يزال يحدث بين المسلمين إلى قيام الساعة فأغنياؤهم يعطفون على فقرائهم وموسروهم على معسريهم وأقوياؤهم على ضعفائهم وعلماؤهم على جهّالهم وأصحاؤهم على مرضاهم . امتثالاً لتوجيهات نبيهم سيدنا محمد ﷺ .

روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة ، ومَن يسّر على مُعْسِر يسّرَ الله عليه في

(١) الترغيب الترهيب ٣/١٩٨ .

الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »[1] الحديث .

وروى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن ابن عمر أن رسول لله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظَلمه ولايُسْلِمُه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومَن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »[2] .

وقد وجّه رسول الله ﷺ الأمة إلى الدأب على عمل الصدقات يوميّاً من باب التعاون على البرّ والتقوى فلا تطلع شمس يوم إلا ويتسارع المسلمون فيه إلى بذل المبرّات فيما بينهم تقوية للجماعة المسلمة لتكون صرحاً شامخاً في وجه الكفر والإلحاد .

روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ « على كل مسلم صدقة . قالوا فإن لم يجد ؟ قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا فإن لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال فيعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا فإن لم يفعل ؟

---

(١) مسلم ٢٠٧٤/٤ .

(٢) مسلم ١٩٩٦/٤ .

قال فيأمر بالخير أو قال بالمعروف ، قالوا فإن لم يفعل ؟ قال فيمسك عن الشر فإنه له صدقة » [١] .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كل سلامى من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس » . قال : « تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابتـــه فتحمله عليها أو ترفـــع له عليها متاعَـه صدقـة » قال : « والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة » [٢] .

ولتعلم أيها الغني المسلم وأنت ياصاحب الجاه المسلم ويامن وكل الله تعالى إليك أمر الطاعة أن لا تتهاونوا في تقديم المساعدات وتفريج الكروب فإن الله تعالى تفضّل عليكم ومَنّ بالمال والجاه فواجب عليكم أن تقوموا بمساعدة المسلمين .

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله » . رواه الطبراني عن ابن عمر [٣] .

وروى أيضاً عنه رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ :

---

(١) البخاري ١٣/٨ . (٢) مسلم ٦٩٩/٢ . (٣) الترغيب والترهيب ٣٩٠/٣ .

« إن لله عند أقوامٍ نعماً أقرّها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يَمَلّوهم فإذا مَلّوهم نقلها إلى غيرهم »[1].

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني عن عائشة رضي الله عنها بسند ضعيف قالت قال رسول الله ﷺ : « ما عظمت نعمةُ الله عز وجل على عبد إلا اشتدّت إليه مؤنة الناس ، ومن لم يحمل تلك المؤنة للناس فقد عرّض تلك النعمة للزوال ».

أخي المسلم .. أختي المسلمة تفريج الكرب وبذل المساعدة بالمال أو الجاه له ثواب لا يقادر قدره فلو أنك اعتكفت يوماً في المسجد ابتغاء وجه الله للعبادة والذكر وقراءة القرآن وطلب العلم جعل الله بينك وبين الناس ثلاث خنادق كل خندق أبعد مما بين المشرق والمغرب .

ولو أنك مشيت في حاجة أخيك المسلم بمالك أو جاهك وفرّجت كربته ونفّست همَّه كان الأجر المحصل لك خيراً من اعتكاف عشر سنين يعني أنك تبعد عن النار أكثر من عشرة آلاف وتسعمئة وعشرين خندقاً كل خندق أبعد مما بين المشرق والمغرب .

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/٣٩٠ .

روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد ممّا بين الخافِقَيْنِ » [1].

ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد إلا أنه قال : « لَأَن يمشيَ أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته – وأشار بأصبعه – أفضلُ من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين » [1].

فانظر ما أعد الله تعالى لك إذا قمت مع أخيك المسلم في شأن من شؤونه فهو خير لك من أن تعتكف في مسجد رسول الله ﷺ شهرين .

وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً « أحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربةً أو تطرد عنه جزعاً أو تقضي عنه ديناً » [2].

وروى البيهقي عن على بن حسين قال خرج الحسن بن علي

---

(١) الترغيب والترهيب ٢٩٠/٣ .

(١) المنذري ٣٩٤/٣ .

يطوف بالكعبة فقام إليه رجل فقال : ياأبا محمد اذهب معي في حاجة إلى فلان فترك الطواف وذهب معه فلما ذهب قام إليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه ، فقال ياأبا محمد تركت الطواف وذهبت معه . قال فقال له وكيف لا أذهب معه ورسول الله ﷺ قال : « من ذهب في حاجة لأخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجة وعمرة وَإِنِ لم تُقْضَ كتبت له عمرة »[١]. فقد اكتسبت حجة وعمرة ورجعت إلى طوافي .

٤ - ومن وجوه التعاون على البر والتقوى إرشاد السبيل وهداية الضال الحائر

فطالب الإرشاد والهداية قلق والدال على الطريق والهادي إليه مفرّج كربه ومنفس همه ومدخل السرور عليه . وقد عدّ رسول الله ﷺ إرشاد السبيل وهداية الضال من حق الطريق .

روى الحاكم وصححه وأقره الذهبي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن يجلسوا بأفنية الصعدات . قالوا إنا لا نستطيع ذلك ولا نطيقه يارســول الله . قال « أما لا » فأدوا حقها . قالوا وما حقها

---

(١) شعب البيهقي ١١٥/٦ .

يا رسول الله ؟ قال : « رد التحية وتشميت العاطس إذا حمد الله وغضّ البصر وإرشاد السبيل »[١] .

ومن وجوه التعاون على البر والتقوى مســـــاعدة المكفوفين . فمن ساعد مكفوفاً بقيادته أو عبوره أو في أمر من أموره التي ترضي الله سبحانه وتعالى فقد أعانه على البر والتقوى .

روى البيهقي بإسناد فيه ضعف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة » . وفي رواية من قادمكفوفاً أربعين خطوة غفر له ما تقدّم من ذنبه[٢] .

وروى أيضاً عن أنس بن مالك بإسناد فيه ضعف قال قال رسول الله ﷺ : « من قاد أعمى أربعين أو خمسين ذراعاً كانت له كعتق رقبة »[٢] .

ومن وجوه التعاون على البر والتقوى الذب عن عرض أخيك المسلم في غيبته فمن جلس مجلساً وتُنُووِل فيه عرض أخيه المسلم بشرٍ فعليه أن يدافع عنه وينصره ويحوط عرضه .

روى البيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) المستدرك ٢٦٤/٤ .

(٢) الشعب ١٠٨/٦ .

رسول الله ﷺ قال : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن من حيث لقيه يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه »[1] .

وروى أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : نال رجل من رجل عند رسول الله ﷺ فرّد عليه رجل . فقال رسول الله ﷺ : « مَن ردّ عن عِرض أخيه كان له حجاباً من النار » . وروى الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قال : « من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة » . وعن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله ﷺ : « من ذب عن لحم أخيه بالمغيب كان حقاً على الله أن يقيه من النار »[2] . وإن في الدفاع عن عرض أخيك في غيبته تمتين روابط المجتمع الإسلامي وإحكامَ بنائه .

ومن وجوه التعاون على البر والتقوى نصحك أخاك المسلم وتقويم اعوجاجه إذا اعوَجّ بالحكمة . إن بعض المسلمين إذا رأى من أخيه المسلم اعوجاجاً أذاع عوجه في المجالس وكان عوناً للشيطان عليه ، والمسلم الحق من إذا رأى في أخيه منقصةً بادر إليه وقدم النصح له في السرّ دون العلانية.

---

(١) السنن ١٦٨/٨ . (٢) الشعب ١١٣/٦ .

روى البيهقي في الشعب عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت : « من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه ومن وعظه علانيةً فقد شانه » [1] .

وكان الحسن بن حي إذا أراد أن ينصح أخاً له كتبه في ألواحٍ وناوله .

وقيل لسفيان بن عُيَيْنَة : أيسرك أن يُهدى إليك عيبُك ؟ قال : أمّا من صديق فنعم ، وأمّا من موبّخٍ شامتٍ فلا .

وقد بين رسول الله ﷺ درجة النصيحة في الدين وأهميتها وقصر الدين كله عليها .

روى أحمد عن تميم الداري قال قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة » وفي رواية « إنما الدين النصيحة . قالوا لمن يارسول الله . قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمن وعامتهم » .

فالنصيحة لله بالإيمان به ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بجميع صفات الكمال والجلال وتنزيهه عن جميع النقائص وما لا كمال فيه من الأوصاف والقيام بطاعته

(١) الشعب ١١٣/٦ .

وتجنب معصيته والحب فيه [1] والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والرغبة في محابّه والبعد عن مساخطه والاعتراف بنعمه وشكره عليها والدعاء إلى جميع ذلك وتعليمه والإخلاص لله فيه وكون الناصح أشد عناية بإيثاره محبة الله تعالى بفعله جميعماافترض واجتنابه جميع ماحرّم .

والنصيحة لكتابه بأن يؤمن بأنه وسائر الكتب المنزلة من عنده وأنه لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر أحد منهم على الإتيان بمثل أقصر سورة منه ، وبأن يتلوه حق تلاوته خشوعاً وتدبراً ورعاية لما يجب له مما اتفق عليه القرّاء ويذبّ عنه تأويل المحرّفين وطعن الطاعنين ويصدّق بجميع ما فيه ويقف مع أحكامه ، ويتفهم أمثاله وعلومه بنشرها ويعتني بمواعظه ويتفكر في عجائبه ، ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه مع التنزيه عّما يوهمه ظاهره مما لا يليق بعظيم جلال الله تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً . ويمسك عن الخوض في تفسيره مادام لم تجتمع عنده آلات المعرفة ويدعو إلى ذلك ويحضّ عليه ويرغّب الناس في مسابقتهم إليه .

والنصيحة لرسوله ﷺ بتصديق رسالته والإيمـــان بجميع

---

(١) مسند أحمد بشرح البنا ١٩/٦٥

ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ونصرة دينه حيّاً وميتاً ، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وإعظام حقه وتوقيره وإحياء سنته بنشرها وتصحيحها ونفي التهم عنها ونشر علومها والتفقه في معانيها والإمساك عن الخوض فيها بغير علم والدعاء إليها والتلطف في تعليمها وإظهار إعظامها وإجلالها وإجلال أهلها ، والتأدب بآدابه عند قراءتها ومحبة آله وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته أو انتقص أحداً من صحابته والدعاء إلى جميع ذلك سراً وعلناً ظاهراً وباطناً .

والنّصيحة لأئمة المسلمين وهم الخلفاء ونوابهم بطاعتهم فيما يوافق الحق وترك الخروج عليهم وإن جاروا ، والدعاء بالصلاح لهم ومعاونتهم عليه وتنبيههم له وتذكيرهم بالله وأحكامه وحكمه ومواعظه لكن برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه أو لم يبلغهم من حقوق المسلمين وتألف قلوب الناس لطاعتهم وعدم إغرائهم بالثناء الكاذب عليهم .

والنصيحة للعلماء بقبول ماروره وتقليدهم في الأحكام لمن عجز عن الاجتهاد وإحسان الظن بهم وإجلالهم وتوقيرهم والوفاء بما يجب لهم على الكافة من الحقوق .

والنصيحة لعامة المسلمين بإرشادهم لمصالحهم في أمر

آخرتهم ودنياهم وإعانتهم عليها بالقول والفعل وستر عوراتهم وسدّ خلاّتهم ، ودفع المضارّ عنهم ، وجلب المنافع إليهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بشروطه المقررة وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتعهدهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر ويذبّ عن أموالهم وأعراضهم . ويحثهم على التخلق بالحكمة وجميع مامر مقتدياً بما كان عليه السلف في طريقتهم في النصح كما ذكرت سراً فمن وعظ أخاه سراً فهي نصيحة ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه ، ومن ثم قال الفضيل : المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر ، وينبغي أن يميز بين ماإذا كانت النصيحة متعلّقة بشخصه أو متعلقة بالغير والسلوك العام ، فإذا كانت النصيحة متعلقة بذات الشخص فيجب أن تكون سرّاً فيما بينه وبينه ، ،أما إذا كانت النصيحة متعلّقة بالغير فلابد وأن تكون علانية خشية أن تحفظ وتبقى كذلك .

فمن رأى مسلماً يشرب الخمر مثلاً أو يزني فعليه أن ينصحه سراً حتماً . وأما إذا كان يقرّر مسألة خطأ فلا ينبغي له السكوت أو الانتظار بل عليه أن يبين ولكن يختار الطريقة المثلى

في الرّد كما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين حدّد المهور على المنبر فانتفضت له امرأة وردت عليه بقول الله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » . ورجوعه رضي الله عنه للحق بقوله : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

ومن وجوه التعاون على البر والتقوى إيصال حاجة مسلم إلى ذي سلطان لا يقدر على إيصالها بنفسه والأصل فيه ما روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال : « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيّه ﷺ ماشاء » (١) .

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ برّ أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام » (٢) .

وروى ابن المبارك عن لقمان الحكيم أنه رؤي يعدو خلف

---

(١) البخاري ١٣٤/٢ . (٢) الشعب ١١٤/٦ .

قيصر فراسخ فقيل له : ياولي الله تعـدو خلف هذا الكافر ؟ قال : نعم لعلي أسأله في مؤمن فيجيبني فيه .

فالمسلمون مأمورون بالتعاون على البر والتقوى والنصرة والتناصح فيما بينهم فهم كرجل واحد متعاونون متناصحون ، والمنافقون في المجتمع المسلم يغش بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم بعضاً ويبغي بعضهم على بعض ، فهم متفرقون وإن كانوا ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة .

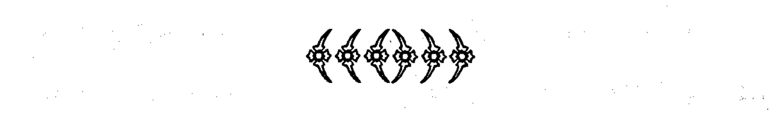
روى مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » [١] .

فعلى المسلمين أن يطبقوا كلام الشارع ويحققوه فيما بينهم فيغدوا جسماً واحداً وحين ذاك تكون لهم قوة ويكون لهم عزٌ وسلطان ، وإذا أعرضوا عن تطبيق كلامه كما هو الحال عليه الآن تفرّقـوا وتداعت عليهم الأمم القوية لتأكلهم وتقضي عليهم .

---

(١) مسلم ٤/٢٠٠٠ .

اللهم اجمع شمل المسلمين على تطبيق كتابك وسنة رسولك إنك خير مسؤول وأكرم مأمول والحمد لله رب العالمين .



الفهـــرس